دور علماء الدين فى
تعزيز السلام فى عصرنا الحاضر

الشيخ /عبد الشكور رحمة اللّه
نائب رئيس الجمعية الإسلامية الصينية
الصين

مقدمــــــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الدعاة وإمام العلماء والعالَمين محمد بن عبد الله الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن ديننا الإسلامى هو دين التسامح والمحبة والسلام، وهو يشمل جميع الفضائل الاجتماعية والمحاسن الإنسانية، الإسلام هو دين العقيدة والعمل، ودين جَمَعَ الحياة الدنيوية مع الأخروية بأجمل شكل، ووَضَعَ القواعد الكاملة فى المعاملات الإنسانية بدون تفريط أو إفراط. إن الإسلام جاء رحمة وسلامًا وأمانًا للبشرية جمعاء وهو يحقق السعادة الشاملة لكل طوائف البشر بصرف النظر عن اعتقادهم وهذه هى رسالة هذا الدين العظيم الذى جاء من أجلها.

ومما لا شك فيه أن الرسول ﷺ جاء سلامًا ورحمةً للبشرية؛ لإنقاذها من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق وحده، ولإخراجها من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدالة والمساواة ومن الشقاوة إلى السعادة، حتى يعم العدل والمساواة والاحترام المتبادل بين الناس فى شتى المجالات ويرقى الناس جميعًا إلى أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية فى كل تعاملاتهم فى الحياة، وكانت هذه

رسالته ﷺ حيث قال: " إنما **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**" (١).

ومن المعروف أن العالم بأسره قد شهد حروبًا كثيرة- وخاصة العرب- قبل بعثة الرسولﷺ وفى زمنه؛ فكانت القبائل العربية تتقاتل فيما بينها بسبب أو بدون سبب ولا يُحترم الإنسان أو الاعتقاد الدينى أو النساء أو الأطفال، وكان يأكل القوى الضعيف وتوأد البنات وتُسلب الأموال وتُدنس حرمة العقائد، وكان الظلم سائدًا بكل أنواعه، وكانوا فى ضلال مبين، كما قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢).

وقد جاء الإسلام الحنيف؛ ليخرج الناس من هذه الحياة السيئة والصعبة وينقلهم إلى حيث الأمن والأمان والسكينة، وكان الرسول ﷺ حريصًا على إبعاد الناس تمامًا عن الحروب والمنازعات وعن كل ما يؤدى إليها، وكان ﷺ أيضًا يبحث دائمًا عن الطرق السلمية والهادئة للتعامل مع المخالفين له وتحقيق السلام والمساواة والاحترام المتبادل اتباعًا لقول الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٣).

الإسلام والسلام يجتمعان فى توفير السكينة والطمأنينة، ولا غرابة فى أن كلمة الإسلام تجمع نفس حروف السلم والسلام، وذلك يعكس تناسب المبدأ والمنهج والحكم والموضوع، وقد بدأ الإسلام نشر السلام من التحية حيث جعل الله ؛ تحية المسلم السلام، لذلك لا ينبغى أن يتكلم الإنسان المسلم مع آخر قبل أن يبدأ بكلمة السلام، وسبب ذلك أن السلام أمان وإعطاء للأمن والطمأنينة ولا كلام إلا بعد الأمان.

إن السلام بمفهومه السلمى هو أمنية ورغبة أكيدة يتمناها كل إنسان يعيش على هذه الأرض، فالسلام يشمل أمور المسلمين فى جميع مناحى الحياة ويشمل الأفراد والمجتمعات والشعوب والقبائل، فإن وجد السلام انتفت الحروب والضغائن بين الناس، وعمت الطمأنينة والحريّة والراحة والمحبة والمودة بين الشعوب.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) الجمعة :٢ .

(٣) النحل: ١٢٥ .

وفى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عدة قواعد وأحكام ينبنى عليها مفهوم السلام، مما يشكل للمسلمين قانونًا يسيرون عليه حيث قال الله تعالى فى القرآن الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ (١).

وهذه القوانين والشروط الواجب توافرها حتى يتحقق السلام تظهر فى المساواة بين الشعوب بعضها البعض، فالإسلام يُقرر أن الناسَ بصرف النظر عن اختلاف معتقداتهم وألوانهم وألسنتهم ينتمون إلى أصلٍ واحدٍ، فهم إخوة فى الإنسانية، قال الله تعالى فى القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (٢).

ومنه قول النبى ﷺ : " **كُلُّكم لآدمَ، وآدم من ترابٍ، لا فضلَ لعربى على أَعْجَمِى إلا بالتقوى**" .

يقول الله تعالى لسيدنا محمد عليه السلام: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (٣)، فكان الرحمةَ المهداةَ من السماء لسلام أهل الأرض، ولسعادتهم الخالدة، ماداموا متمسكين بتشريع السماء، ذلك التشريع الذى جعل المؤمنين به إخوة متحابين فى الله، متعاونين على الخير، متسابقين إلى العلم والحكمة، باذلين كل غالٍ ونفيسٍ، فى سبيل إسعاد إخوانهم وكلّ أبناء البشرية، تحت شعار قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡ ﴾ (٤).

وقول النبى الكريم: "الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله" (٥).

كما أن الوفاء بالعهود ومنع العدوان وإيثار السلم على الحرب وإقامة العدل والمساواة ودفع الظلم من القواعد الأساسية لتحقيق السلام بين الشعوب والمجتمعات، فلا يعتدى أحدٌ على حق أحدٍ، ولا يظلم أحدٌ أحدًا، فالإسلام يسعى دائمًا إلى استقرار الأمة الإسلامية، كما يسعى إلى استقرار علاقات المسلمين بالأمم الأخرى حيث أمر الله تعالى نبيه بإيثار السلم بقوله :﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ

(١) البقرة : ٢٠٨.

(٢) النساء : ١ .

(٣) الأنبياء : ١٠٧.

(٤) الحجرات : ١٠.

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير، والبيهقى فى شعب الإيمان، عن ابن مسعود مرفوعًا.

﴿ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾(1).

إن أثر الإسلام فى تعزيز السلام العالمى يتجلى فى تعزيز التعايش السلمى وإشاعة التراحم والاحترام المتبادل بين الناس، ونبذ العنف والتطرف بكل صوره ومظاهره، وكذلك فى نشر ثقافة الحوار الهادئ بين أتباع الأديان والثقافات لمواجهة المشكلات وتحقيق السلام بين مكونات المجتمعات الإنسانية وتعزيز جهود المؤسسات الدينية والثقافية فى ذلك.

إن للسلام العالمى شأنًا عظيمًا فى الإسلام، فما كان أمرًا شخصيًا وهدفًا قوميًا ووطنيًا بل كان عالميًا وشموليًا، فالسلام هو الأصل الذى يجب أن يسود العلاقات بين الناس جميعًا، فالمولى عز وجل عندما خلق البشر لم يخلقهم ليتعادوا أو يتناحروا ويستعبد بعضهم بعضًا، وإنما خلقهم ليتعارفوا ويتآلفوا ويعين بعضهم بعضا، يقول الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(2).

فالإسلام يدعو إلى استقرار المسلمين واستقرار غيرهم ممن يعيشون على هذه الأرض، ويكشف لنا التاريخ أن جميع الحضارات كانت تواقة من أجل تحقيق السلام العالمى كما أن السلام ضرورة حضارية طرحها الإسلام منذ قرون عديدة من الزمن باعتباره ضرورة لكل مناحى الحياة البشرية ابتداءً من الفرد وانتهاءً بالعالم أجمع فبه يتأسس ويتطور المجتمع.

كلُّنا نتوق إلى الأمن والسلام لاسيما فى عصرنا الحاضر نحن فى أمس الحاجة لتعزيز السلام ولا يمكن اليوم لأىٍّ منَّا أن يدير ظهره لما يحدث فى أى مكان فى العالم؛ لا يمكن لأى منَّا أن يدير ظهره لما يحدث لأخيه الإنسان، لا يُعقَل بعد اليوم أن نتجاهل المجاعة والمرض والظلم والحروب؛ ولا يمكن السكوت عن أىِّ أذى، فما يُرتكَب بحقِّ الإنسان يُرتكَب بحقِّ كلٍّ منَّا؛ وما يرتكبه الإنسانُ يرتكبه كلٌّ منا.

(1) الأنفال : 61 .

(2) الحجرات : 13 .

أيها الإخوة :

إن أرفع الأمة قدرًا فى الإسلام هم علماء الدين، مصابيح الدجى و أهلُ التوسُّط والاعتِدال، يُواجِهون الأفكارَ الضالَّة، ويُحارِبون الآراء الشاذَّة ، بسلاح العلم البتَّار، خاصَّةً وقتَ الفِتَن فلله درّهم، نشروا العلم والسُّنة، أرشدوا الخلق إلى الحق، وأقاموا حجج الله على عباده، وفنَّدُوا شُبُهات المبطلين، وردُّوا عن شريعة رب العالمين، وبيَّنُوا الحق للراغبين، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

ويكفى فى بيان شرفهم وعِظَم مسئوليتهم وأهمية دورهم ما وصفهم به الله عز وجل فى مواضع من كتابه بالخشية والرفعة والأمر بالرجوع إليهم كما فى قوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟** ﴾[1]، وما خصهم به النبى ﷺ من كونهم ورثة الأنبياء حيث قال: " **إن العلماء ورثة الأنبياء**" [2]، فحيثما وقعت الفتن واختلطت الأمور واحتاج الناس إلى المصلح والقائد ولم يجدوا أنبياء الله ورسله فليقصدوا ورثتهم الذين يقولون بقولهم ويدلُّون على هديهم، وليست تلك المنزلة لغيرهم، وإن سُئلتَ عن السبب فقل: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3].

وإن من أوجب واجبات العلماء : إظهار الحق وتوجيه الناس إليه، وشفاء عليلهم فى المسائل المصيرية الكبرى التى تحدث من حولهم، وضبطهم فى المسار الوسط بلا غلو أو جفاء، يبينون الصغيرة والكبيرة، فليس فى الدين قشر ولباب، بل الكل دين الله –تعالى– يجب عليهم إبلاغه، وإيضاحه كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ** ﴾ [4]

لقد أخذ الله الميثاق والعهد على العلماء أن يبينوا الحق، وإن الأمة اليوم تتقاذفها الفتن والمحن من كل حدب وصوب، وإذا سكت العلماء وقعدوا عن مهمتهم العظمى فى قيادة الأمة، وبيان الحق، وإظهاره، فمتى يعرف الناس الحق والباطل ؟!

---

(١) فاطر : ٢٨ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) الزمر : ٩ .

(٤) البقرة : ١٥٩ .

لقد أدى علماء الدين فى تاريخنا رسالتهم فى مجالات متعددة من نشر العلم وحسن الفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وقاموا إلى جانب ذلك بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى مجالى العامة والخاصة فكانوا صمام الأمان فى المجتمع وكانوا قدوة للناس فى الخير علمًا وعملاً.

وقد تصدى العلماء عبر التاريخ لدعوات الغلو والتطرف الناتجة عن سوء فهم لنصوص من الكتاب والسنة أو عن سوء تأويل، ويمكن أن نشير فى هذا المجال إلى محطات مهمة منها: موقف عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من الخارجين على علىّ بن أبى طالب ؓ حين ذهب يجادلهم ليردهم إلى الجماعة حرصًا عليهم وعلى وحدة الأمة المسلمة. ومنها: موقف الإمام أحمد بن حنبل فى قضية خلق القرآن واحتماله الأذى ورفضه المساومة على ما يرى أنه الحق، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: "**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتـــأويل الجاهلين**" (١).

فعلى علمائنا اليوم:

أولاً : أن يعتصموا بحبل الله جميعًا ولا يتفرقوا وأن يتبعوا السنة والجماعة وأن يجتنبوا الشذوذ والخلاف اتباعًا لقول الله تعالى :﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ (٢)، وأن يقفوا آثار علمائنا السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين؛ لأنهم أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر، لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوءٍ فهو على غير السبيل، وعليهم أن يكونوا القدوة فى الدين والخلق والخطاب الجامع لا المفرق، القدوة الحسنة هى من أفعل الوسائل وأقربها للنجاح وأكثرها فاعلية فى حياة المربين، إن القدوة الصالحة عنصر رئيس ذو أهمية بالغة فى البناء والتربية، فقدوة الأمة هم الدعاة والمربين الذين يفعلون ما يقولون .

وبقدوتهم ترتقى أخلاق المسلم واتباعه للسلوكيّات الجيّدة التى تتوافق مع الفطرة الربانيّة ومع مبادئ الدين الإسلامى، وينهض المجتمع والأمة بشكل إيجابى ويُحمى المجتمع من انتشار الأخلاق غير الجيّدة والسلوكيّات السلبيّة، ممّا يقلل من انتشار الفساد .

ثانيًا: أن يعملوا على نشر السماحة والاعتدال والوسطية والبعد عن التطرف والتشنج؛ فلقد تميّزت الأمّة الإسلاميّة عن غيرها من الأمم بأنّها أمّة الوسطيّة والاعتدال بعيدًا عن الانحراف

---

(١) رواه البغوى .

(٢) آل عمران : ١٠٣.

أو التّطرف يمينًا أو شمالاً، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [(١)]، ومن مظاهر اعتدال ووسطية الإسلام: الإنفاق والعبادة والتّعامل مع المخالفين، وما نراه حاليًّا من سلوكيّات عنيفة يقوم بها أناس ينتسبون إلى الدّين الإسلامى واستهانتهم بالدّماء، فهذه الفئات بعيدة كلّ البعد عن المنهج الصّحيح فى الدّعوة إلى دين الله تعالى ومحاورة المخالفين أو المعتدين منهم.

ثالثًا: أن يعملوا على توعية المسلمين خاصة الشباب منهم بأن كل شيء يتعدد فى العالم بعد وحدانية الخالق، هذه سنة الله فى الأرض كما قال الله تعالى:﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ ﴾ [(٢)] ،

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا ﴾ [(٣)].

يقول أحد العلماء فى عالمنا المعاصر: "التعددية فى الخلق: التعددية العرقية والتعددية اللسانية والتعددية الدينية والتعددية الثقافية كل هذه التعدديات أقرها الإسلام، أنت لست وحدك فى هذا الوجود، لست إلهًا حتى تكون متوحدًا، لا شريك لك، ولا ند لك، ولا كُفْءَ لك، ولا شبيه لك، لا، هناك آخرون يشاركونك وينبغى أن يفهم الناس هذه الحقيقة أن هناك تعددًا".

رابعًا: أن ينيروا – بحقيقة الإسلام- عقول الأجيال الشابة وأن يُعلّموهم اعتقادنا حيث نسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبى ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، هكذا علمنا النبى ﷺ قال: " **من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله فى ذمته** " [(٤)].

لو عرف الشباب اليوم أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن أهل الكبائر من أمة محمد ﷺ إذا ماتوا وهم موحدون لا يخلدون فى النار وإن لم يكونوا تائبين، وكذلك أهل السنة يصلون خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة ويصلون على من مات منهم، لو عرفوا ذلك لما قاموا بما يقومون به اليوم من الأعمال الرهيبة والكريهة.

---

(١) البقرة : ١٤٣.

(٢) هود : ١١٨- ١١٩ .

(٣) يونس : ٩٩ .

(٤) رواه البخارى عن أنس .

ونحن نعلم أن ما وقع من حوادث غريبة وكثيرة فى مناطق إسلامية إنما وقع من قلة العقل والفكر، وأصحاب هذه الآفات لم يفهموا الدين ولم يفهموا الحياة فتفقهوا تفقهًا أعوج فيه خلل من جهات عدة، ولهذا استباحوا حرمة الدماء وحرمة الأموال وحرمة الأمن وحرمة الخلق وروعوا الآمنين.

خامسًا: لابد أن نعلّم المسلمين أننا – أهل السنة والجماعة – لا نخرج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وإنما ندعو لهم بالصلاح والعافية، وأن الجماعة حق وصواب وأن الفرقة زيغ وعذاب لقوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ** ﴾ (1).

وأخيرًا لا يكفى النظر إلى العالم على أنه منظومة من العلاقات بين دول أو مجموعات من الدول؛ فالعالم وحدة عضوية، حية، متعالية، ما يحدث لدولة ما، أو ما يصيب مجتمعًا بعينه، سينعكس بشكل ما عاجلاً أم آجلاً على الجميع.

نأمل فى المستقبل القريب – وأظننا فى الطريق إلى ذلك – الوصولَ إلى حلِّ كلِّ النزاعات والاختلافات بالطرق السلمية. وسوف نرى ثمرة ما بذلناه من الجهد والسعى إن شاء الله تعالى فى وقت قريب:﴿ **وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ** ﴾ (2).

أسأل الله رب العرش الكريم أن يرزقنا وإياكم العلم النافع وأن يفقهنا وإياكم فى الدين وأن يعم السلام أرجاء العالم وأن يحفظنا وإياكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنه على كل شيء قدير.

---

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) النجم : ٣٩-٤٠.